ثالثًا: الجنس والدين

لاشك أن معالجة موضوع الجنس والدين من الموضوعات المهمة فى أخلاقيات الفكر الفلسفى، كما أنه من الموضوعات الشائكة عند الفيلسوف محل الدراسة، حيث تم مهاجمة آرائه بصدد الجنس من حيث كونها تتعارض مع الفكر الدينى، وكذلك الأخلاقيات الاجتماعية، والعرف والعادات والتقاليد الموروثة.

وفى هذا الموقف الفلسفى يعد الدين من أهم أسس الأخلاق، ويعد فى الوقت الحاضر الدين المنظم للسلوك[1]. كما أن الدين فى الأصل هو أخلاق أُشعلت عن طريق المشاعر، فهو عبارة عن استجابة بشرية للإله، أو كما عبر عنه «هربرت سبنسر» الدين هوالاعتراف بأن كل الأشياء هى مظاهر للقوى التى تفوق معرفتنا[2]. فالشعور الدينى هو وجه من الروح الدينية فى الإنسان، وأن الشعور الخلقى هو ملائمة لمقتضيات البيئة، والمنطق الدينى هو الذى يهيمن على الديانة، والمنطق العاطفى هو الذى يهيمن على الأخلاق[3].

فإذا كان الدينُ يعد الركيزة الأولى والأساسية فى بناء الفكر الأخلاقى منذ القدم، فإن موضوع الجنس كان مثار اهتمام الأديان على اختلافها، فإذا كانت الأخلاق الجنسية قبل ظهور الديانة المسيحية مرتبطة إلى حد كبير بالأوضاع المادية، فإن الأخلاق المسيحية أضفت على الأخلاق الجنسية نوعًا من التقديس، ذلك الأمر الذى جعلها تشكل قيودًا للسلوك الإنسانى- فيما يرى رسل- حيث ظل الإنسان ملتزمًا بها، بالرغم من أنها لم تعد مناسبة لظروف العصر الحاضر[4].

لقد بدأ اهتمام الدين بموضوع الجنس، مع بداية اكتشاف الأبوة ودور الرجل فى الإنجاب، ومع اكتشاف صلته بالزواج والأسرة والميراث، حيث يقول رسل: «أنه فى المجتمعات الزراعية

(1) محمد محمد حسين الشامى: الحقيقة فى فكر وليم جيمس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب فرع بنها، جامعة الزقازيق، 2002م، ص 177.

(2) John Hick: Philosophy of Religion, Prentice Hall, International, Inc, Fourth Edition, 1990, p.2.

(3) محمد محمد حسين الشامى: الحقيقة فى فكر وليم جيمس، مرجع سابق، ص 177.

(4) أحمد الأنصارى: الأخلاق الاجتماعية عند برتراند رسل، مرجع سابق، ص 233.

القديمة، كان نمو المحاصيل وكثرتها وزيادة النسل ذا أهمية للإنسان، وعندما كان الدين يهتم بالأمور الغامضة والمهمة فى نفس الوقت، فقد كان الإنسان يلجأ إليه لتحقيق رغباته، والدين فى تلك المرحلة كان مرتبطًا بالسحر، وكان السحرة يعتقدون أن زيادة خصوبة الأرض ترتبط بخصوبة النساء، كذلك عند الأسر الحديثة نسبيًا فى مصر القديمة أخذ العنصر الجنسى فى الديانة صورة عبادة الذكر، وفى بلاد كثيرة كان يعتقد أن القمر هو الأب الحقيقى للأطفال، أما بعد اكتشاف دور الرجل فى الإنجاب تغيرت معتقدات كثيرة، وزاد اهتمام الدين بالجنس[1].

إذا كانت هذه هى نظرة الإنسان القديم للجنس من وجهة نظر الدين، فماذا كانت نظرة فيلسوفنا للجنس أو الزواج برمته عند ظهور الديانة المسيحية، وتسلط الكنيسة على أمور الحياة؟ وإلى أى حد جاءت أفكاره متطابقة مع الروح الدينية؟ أم جاءت أفكاره فى تناقض مع الكنيسة وروح الأديان؟ وإلى أى حد جاءت أفكار رسل فى الأخلاق الجنسية متضاربة مع الفكر الأخلاقى بوجه عام؟

فى البدء يقرر رسل حقيقة مهمة وهى محور وجهة نظره تجاه القيم المسيحية بوجه عام، فيرى أن: «القيم المسيحية عبر التشديد على الفضيلة الجنسية، أسهمت بقدر كبير فى الحط من مقام النساء، وبما أن الأخلاقيين رجالاً، ظهرت المرأة على أنها الفتنة، ولو كانوا نساء لكان للرجل هذا الدور. ولكون المرأة هى الفتنة كان من المرغوب منعها من أن تقود الرجال إلى الغواية وبالتبعية؛ فالنساء المحترمات يصبحن مصونات أكثر وأكثر بالضوابط، بينما النساء غير المحترمات اللاتى ليس لهن ضوابط فهن من الآثمات، حيث يعاملن بأقصى درجات الاستهزاء. ولم تستعد النساء إلا فى العصور الحديثة جدًا درجة الحرية اللاتى كن يتمتعن بها فى الإمبراطورية الرومانية. إن النظام الأبوى فعل الكثير لاستعباد النساء، ولكن معظم ذلك تم إبطاله قبل بزوغ المسيحية بعد الإمبراطور قسطنطين، تقلصت حرية النساء مرة أخرى تحت إدعاء حمايتهن من الخطيئة، ولم تبدأ النساء فى استعادة الحرية إلا بعد تحلل فكرة الخطيئة فى الأزمنة الحديثة»[2].

النص السابق ما هو إلا دعوة للتحرر من قيود الوعظ الدينى، أى أنه دعوة للحرية الجنسية.

(1) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(2) برتراند رسل: أفضل ما كتب، مصدر سابق، ص ص 141-140.

فقد أكد رسل على هذه القيود التى أحاطت موضوع الجنس فى كتابه «الزواج والأخلاق» فرأى أنه: «قد تم دحض فكرة الزواج التى تعمل على إنجاب الأطفال أو التكاثر منذ ظهور المسيحية وتعاليم القديس بولس حيث قدم القديس بولس للمسيحية فكرة جديدة وهى أن الزواج يكبح خطيئة الزنا The Sin of Fornication، وليس لكون الزواج هو الوسيلة التى يتم بها التكاثر و إنجاب الأطفال»[1].

يرى رسل أن آراء القديس بولس المقدمة عن الزواج لم تترك شيئًا لمعنى الرغبة desired فى رسالته الأولى «لأهل كورنيوس»، فقد قام القديس بولس بعرضها فى عدة مقولات، وأشار إليها رسل برؤية نقدية فى كتابة «الزواج والأخلاق» وكأن التعاليم المسيحية عنده متمثلة فى كلمات القديس بولس فقط، ناهيك عن الاتجاهات والمذاهب المتعددة فى الدين المسيحى من كاثوليك، وأرثوذوكس، وبروتستانت، وقد كانت المقولات من قبيل:

1. إنه من الأفضل فى نظر «القديس بولس» أن لا يلمس الرجل امرأة.
2. ولكن على الرغم من ذلك، ولكى نتجنب جريمة الزنا، فلندع كل رجل فى أن يختار زوجته، وأن ندع كل امرأة فى أن تختار زوجها.
3. من الواجب على الزوج أن يكون سخيًا كريمًا مع زوجته، وبالمثل يجب على الزوجة أن تكون كريمة مع زوجها.
4. إن الزوجة ليس لها سلطان على جسدها إلا لزوجها، وبالمثل أيضًا ليس للزوج سلطان على جسده إلا لزوجته.
5. إنى أقول للمطلقات وغير المتزوجات وكذلك الأرامل أنه من الأفضل أن تظلوا طاهرين مثلى.
6. ولكن إذا لم تستطعن الحفاظ على طهارتهن فليتزوجوا، فإن الزواج هنا أفضل من الحرق[2].

(1) B. Russell: Marriage and Morals, op. cit, p.27.

(2) Ibid: p.27.

يلاحظ الكاتب مما سبق، وهى ملاحظة قد أقرها رسل من قبل، وهى أن القديس بولس لم يشر إلى الأطفال، فهو فى تعاليمه السابقة لم يعطِ أى أهمية للغرض البيولوجى للزواج أو الجنس الذى شأنه التكاثر و إنجاب الأطفال. وهذا أمر طبيعى لأنه قد تخيل فى «المجىء الثانى»The Second Coming أن العالم زائل وأن الحياة الأبدية تكون بعد الموت[1].

و يفسر رسل رؤية القديس بولس فى الأخلاق الجنسية فيقول: « أن القديس بولس قد قرر أن العلاقات الجنسية الحميمة حتى تلك العلاقة الكامنة فى الزواج تحول الإنسان من الوصول للخلاص Salvation، ولكن يمكن للمتزوجين الحصول على الخلاص، فى حين أن الزنا يعد خطيئةً مميتةً deadly sin كما أن الزانى الذى لم يندم على خطيئته يجد نفسه بالتأكيد مع طائفة المعيز Goats[2].

إن القديس بولس كما يقول رسل لا يرى أى خير إيجابى فى عملية الزواج سوى أنه بديل لخطيئة الزنا[3]. فالرؤية المسيحية (يقصد بها رسل هنا تعاليم القديس بولس) ترى أن الجنس خارج إطار الزواج يعد أمرًا لا أخلاقيًا Immoral بل يعد فى نظر المسيحية خطيئة Sin[4].

ولكن تمادت النظرة المسيحية فى نقد الأخلاق الجنسية إلى حد جعلها ترفض أمورًا قد لا يقرها أو يقبلها عقل الإنسان، فكما أشار رسل أن الكنيسة قد حاربت بل هاجمت عادة الاستحمام The Bath على أساس أن أى شىء يجعل الجسد أكثر جاذبية ونشاطًا يشجع على الخطيئة، «فطهارة الجسد وأناقة ملابسه عند القديس بولس تعنى عدم طهارة الروح» the purity of the body and its garments means the impurity of the soul[5]. لذلك اعتبر القديس بولس الزواج المخرج الشرعى بدرجة تزيد أو تنقص من خطيئة الشهوة[6].

وعندما كان رسل يرفض النظرة المسيحية المقيدة للسلوك الجنسى هذه، فقد بادر ببعض التساؤلات التى من شأنها أن تجيب وتفسر الأخلاق الجنسية حيث أكد على أنه: «يجب النظر

(1) Ibid: p.28.
(2) Ibid: p.28.
(3) Ibid: p.28.
(4) Ibid: p.29.
(5) Ibid: p.29.
(6) Ibid: p.31.

فيما إذا كانت الأخلاقيات الجنسية تؤدى إلى ضرر أم لا، يجب أن أتعامل مع الأخلاقيات الجنسية كما أتعامل مع كل شيء آخر. يجب أن أقول أنه إذا كان ما تفعله لا يؤدى إلى ضرر لأى إنسان فلا يوجد مبرر لإدانته، ولكن بعض الأخلاقيين الجادين يحذروننا بأن هذا خطأ»[1].

وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث أن الموقف الذى تبناه رسل يقف على النقيض من الرؤية المسيحية المقدمة فى كتابات القديس بولس، والتى أقرتها بالفعل الكنيسة، ولكن فى أخلاقيات الجنس يقف فيلسوفنا على النقيض من الدين، وكأن كل شيء مباح وجائز، حتى التعاليم الجنسية لا يجب حجبها طالما أنها لا تؤدى إلى ضرر الآخرين، وهذه الرؤية التى قدمها رسل جعلت الباحثين يدحضون وجهة نظره ويقابلونها بالرفض، وهذا هو الأمر الذى جعل آراء رسل فى أخلاقيات الزواج عامة وأخلاقيات الجنس بصفة خاصة تقابل بالرفض، فى حين كانت نظرياته الأخلاقية بداية طيبة للخوض فى غمار فلسفة الأخلاق التحليلية ومنهج النقد الخلقى.

لقد أشار «آلان وود» إلى تلك الأخطاء التى وقعت فيها نظرية رسل فى الزواج وأخلاقيات الجنس، فلخص «آلان وود» الخطأ الأول واعتبره خطأً أساسيًا، فى كون رسل قد أشار ضمنًا إلى أنه ليس فى الجنس شيئًا غريبًا، وأن أى جو من الغموض قد يحيط به لا يرجع إلا إلى اتجاه دعاة الأخلاق الذين يشيعون الجهل فى العصر الفيكتورى- وقد كان رسل يمقتهم لإضفاء هذا الغموض حول الجنس. حيث كان يعتقد هؤلاء أنه يجب ترك الأطفال فى حالة جهل مصطنع عن الجنس. ولكن رسل اتجه إلى الطرف النقيض، وكتب كما لو كان فى الإمكان ذكر كل شيء عن الجنس للأطفال. وتساءل رسل قائلاً: إنه إذا كان من الممكن استجلاء الغموض عن شيء رائع مثل الرياضيات، فلماذا لا يمكن استجلاؤه فيما يتصل بالجنس أيضًا[2].

وقد تمادى رسل فى تمجيد الجنس إلى الحد الذى جعله نظرية معرفية، حيث كتب يقول عن الجنس: « إن الشيء المهم هو أن نخلق بأسرع ما يمكن الشعور بأن الغموض الذى يكتنف الجنس لا يرجع إلا إلى الجهل به، وهو جهل يمكن تبديده عن طريق الصبر والجهد العقلى، وينبغى علينا أن نتناول الجنس بنفس الأسلوب الذى نعالج به حقائق الحياة العادية المألوفة تمامًا

(1) برتراند رسل: أفضل ما كتب، مصدر سابق، ص 147.

(2) آلان وود: برتراند رسل بين الشك والعاطفة، مرجع سابق، ص 168.

كما لو كنا نشرح مثلاً كيف يمكن لمياه الصودا أن تدخل الزجاجة الخاصة بها. وأن الأسلوب الذى يمكن به علاج صبى من اهتماماته المخلة بالآداب هو أن نغرقه بسيل من المعلومات حتى يشعر بأنه لم يعد هناك ما يجب معرفته، وأنه ليس فيما عرفه بالفعل ما يثير، كما يجب محاربة الخرافات القائمة على الخوف من الموت بنفس الأسلوب، بمعنى أنه يجب أن نصف الموت كما لو كان أكثر الأشياء التى نتخيلها ألفة»[1]. بل تمادى رسل إلى أبعد من ذلك الحد، فكتب ينصح الآباء والأمهات قائلاً: «افعلوا كل ما فى وسعكم حتى تجعلوا الطفل يشعر أنه ليس هناك أى غموض حول الجنس وحتى تتركوا فى نفسه الانطباع بأن الأمر ليس فيه ما يثير إلى حد ما»[2].

وهنا يرى الكاتب أن ما يدعو إليه رسل حول المعرفة الجنسية، وعلمية أخلاقيات الجنس، قد تجعل القارىء العام أن يقرر أن رؤية رسل فى الجنس والزواج تقف على النقيض من الفكر الدينى المسيحى، ولكن لو أمعنا النظر فى موقف رسل من الدين بوجه عام، لأمكننا القول بأن ما يدعو إليه رسل لا يستجدى العجب والغرابة، فلا أدريته الدينية تجعله يدعو بالضرورة إلى فكرة الحرية فى المعرفة الجنسية دون وضع الدين كقيد أو ضابط، فهو يريد هنا تأسيس الأخلاق الجنسية على أسس ومبادىء المعرفة العلمية، فيجعلها من الواجبات الضرورية والملحة لكل إنسان يدرك ويعقل الأمور، ناهيك هنا عن كون هذا الإنسان طفلاً صغيرًا أم شيخًا كبيرًا، أو كونه فتاةً أو إمرأة عجوز.

ويحاول رسل أن يوضح مضمون رأيه المجمل سابقًا، فيقول: «ولا ينبغى أن يؤخذ كلامى السابق على أنه دعوة للتحلل من كل القيود، ذلك أن امتناع المرء عن ارتكاب الرذائل لا يكون فى الواقع بدافع الدين وحده، أو الخوف من العقاب، وإنما يرجع ذلك إلى دوافع أخرى متعددة»[3].

وهذه الدوافع - من وجهة نظر الكاتب - تقرر أن بداخل كل إنسان إله داخلى (أقصد به الضمير الإنسانى) الذى يدفعنا نحو فعل الخير، وينهانا عن الفعل السيء، فالضمير هنا له سلطان على الأخلاق.

(1) المرجع السابق: 168.
(2) المرجع السابق: نفس الصفحة.
(3) برتراند رسل: عالمنا المجنون، مصدر سابق، ص 96.

ولقد أكد رسل على حقيقة مؤداها: «أن الحمقى وحدهم ومضطربي الفكر هم الذين يطلقون لنزواتهم العنان، وكلما عرضت لهم رغبة بادروا بتحقيقها دون التفكير في أثرها في الناس، وفيما تخلقه من إحساس داخلي بالرضى أو الضيق أو الألم»[1]. وهذا القول إن دل على شيء فإنه يدل على أهمية الضمير في المعرفة الجنسية إلى الحد الذي يجعل الضمير في مرتبة أعلى من الدين، بل إلى حد جعله يرى أن تعاليم الفلاسفة القدامى ذات أهمية أعظم من الديانة المسيحية في ذاتها. وقد صرح رسل بذلك في «لماذا لست مسيحيًا» بقوله: «إنني حقاً لا أجد أي حكمة ولا فضيلة في شخصية المسيح بالدرجة التي يحاول البعض تصويرها لنا عبر التاريخ. إنني مضطر أن أعتبر سقراط وبوذا أكثر حكمة من المسيح»[2].

وذاك دليل آخر أشار إليه الباحثون في فلسفة رسل، من حيث أنه قد رأى أن الدين والأخلاق التقليدية قد أقاما صرحًا عاليًا من الخرافات والمحرمات والعرف والبؤس والعقول المنحرفة والحياة التعسة على أساس أن الجنس شيء غريب، وأن هناك خوفًا من الموت في أغلب الأحيان، بل بلغت رغبة رسل في تقويض هذا الصرح حدًا جعله يريد إنكار ما قامت عليه من أساس، ولأنه يمكن للأخلاق التقليدية أن تخلق البؤس، فقد أراد أن تلغى وجودها[3].

ولا بأس هنا عندما نرى أن الفيلسوف محل الدراسة يرى: «أن العلم والدين يتمشيان معًا ولا تناقض بينهما، على اعتبار أن المقصود بالدين مجموعة من القواعد الخلقية فحسب»[4]. فهو هنا يريد تأسيس الأخلاق الجنسية القائمة على نظرية المعرفة، وبالتالي يرى أنه لا تعارض بين الدين والعلم، في حين أنه قام بالفصل التام في نظريته الانفعالية عند مقارنته الأخلاق بالعلم، من حيث كون الأخلاق مبنية على الرغبة والأحاسيس والمشاعر المتغيرة من فرد لآخر.

ولكن لابد أن نكون على يقين من كلمات رسل هذه، فإن كان قد رأى أن الدينَ عبارةٌ عن مجموعة من القواعد الخلقية، فهو قد رفض الإيمان بهذه الأديان برمتها، فالقارئ لكتابه

(1) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(2) B. Russell: Why I am not a Christian, George Allen & Unwin Ltd, London and new York, 1957, p.14.

(3) آلان وود: برتراند رسل - سيرة حياته، مرجع سابق، ص 217.

(4) برتراند رسل: عالمنا المجنون، مصدر سابق، ص99.

«لماذا لست مسيحيًا» يرى أن تعاليم رسل الأخلاقية تقف على النقيض من تعاليم المسيح، بل أراد تقويض الديانة المسيحية عندما قام بتفسير المشكلة الأخلاقية فيه، وذلك فى قوله: «نحن الآن بصدد التطرق إلى السؤال الخلقى، بأن هناك خللاً وقصُورًا فى شخصية المسيح، وذلك لأنه وعد بالجحيم للكفار، فأنا لا أتصور أن هناك شخصًا يملك أخلاقًا إنسانية يمكن له أن يعد إنسانًا آخر بعقوبة أبدية «أى الخلود فى العذاب». إن المسيح بالتأكيد يوجد به خلل فاضح فى الإنجيل the Gospels، لكونه يبشر بالعقوبة الأبدية، بل لكونه يبشر دائمًا بالعذاب والعقاب لكل إنسان لا يصغى لدعوته الدينية، وهذا الموقف الذى اتخذه المسيح لا نجده شائعًا لدى الدعاة والمبشرين الحقيقيين، وهذا الأمر بالفعل ينقص من ألوهية المسيح»[1].

و يستطرد رسل رأيه فيقول: «ومن الأمثلة التى تبرر ما أقوله أننا لا نجد هذا الوعيد بالعقاب صادرًا من فيلسوف كسقراط مثلاً، فسقراط لم يتوعد من لا يوافقونه فى الرأى بالعذاب أو الجحيم، بل وجدناه متحضرًا ورجلاً إنسانيًا مع كل الأشخاص الذين يخالفونه الرأى، وأنا أرى أن سقراط لم يكن يلوم bland أحدًا ممن خالفوه فى رأيه، و إنكم لتعرفون بعض الكلمات التى قالها سقراط وهو يحتضر، بعد أن حُكم عليه بالإعدام، كما أنكم تتذكرون بعضًا من الكلمات التى وجهها إلى هؤلاء الأشخاص الذين يمثلون منه الموقف النقيض»[2].

ومن أمثلة وعيد المسيح لكل من خالفه فى رأيه، أنه قال فى الإنجيل(*): «أيتها الحيات أولاد الأفاعى، كيف تهربون من دينومة جهنم، وعذابها الخالد». هذا القول الصادر من المسيح كان موجهًا إلى أولئك الأشخاص الذين لم يؤمنوا بدعوته الدينية، كما أن هناك الكثير من الإشارات الواردة فى الإنجيل والتى تتحدث عن الجحيم hell، فهناك بالطبع النص الشهير الذى يتحدث عن الخطيئة Sin تجاه الروح القدس the Holy Ghost ونصه فى الإنجيل(**) «أنه من تحدث بكلمة على الروح القدس لن يغفر له فى هذا العالم، ولا فى العالم الآتى» فهذه الآية السابقة قد

(1) B. Russell: Why I am not a Christian, op. cit, p.13.

(2) Ibid: p.14.

(*) «'Ye serpents, ye generation of vipers, how can ye escape the damnation of hell?'»

(**) «'Whosoever speaketh against the Holy Ghost it shall not be forgiven him neither in this world nor in the world of come."

كانت سببًا فى الكثير من المآسى misery تجاه الأشخاص الذين اتهموا بالإساءة للروح القدس، وكانت العقوبةُ ضدهم مبنيةً على أنه لا غفران لهم، ويجب عقابهم فى الدنيا والآخرة»[1].

إن النصوصَ السابقةَ التى وردت على لسان برتراند رسل توضح الموقف الرئيسى الذى تبناه من الدين، وبالتالى تتضح لنا الصورة العامة التى أسسها رسل للجنس والحرية الجنسية أنها رؤية تتعارض مع الدين، فهو لم يضع الدين رادعًا للحرية الجنسية، بل سخر من شخصية المسيح وحكمته، لدرجة جعلته يرى فى الفلاسفة القدامى حكمة تفوق حكمة المسيح، ويتضح موقفه هنا أكثر عندما قارن بين المذاهب الثلاثة فى المسيحية، وموقف كل منها تجاه الأخلاق الجنسية.

يرى رسل: «أن الزواجَ له غرضان فى العقيدة الأرثوذكسية المسيحية orthodox Christian الأول كما قدمه القديس بولس، وهو أن الزواج يكبح خطيئة الزنا، والآخر هو التكاثر وإنجاب الأطفال. والنتيجة المترتبة على آراء القديس بولس فى المذهب الأرثوذكسى، هو أن الأخلاق الجنسية أصبحت أكثر خطورة وأكثر صعوبة، وحتى إن كانت العلاقة الجنسية كامنة داخل إطار الزواج، وبطريقة شرعية وقانونية تعد خطيئة إن لم يكن الهدف منها التكاثر وزيادة النسل»[2].

كما أن الرغبةَ فى إنجاب الأطفال وصلت أيضًا إلى المذهب الكاثوليكى المسيحى catholic Christian فالدافع الوحيد الذى يبرر وجود العلاقة الجنسية الحميمة بين كل من الرجل والمرأة هو التكاثر، بالإضافة إلى كون العقيدة الكاثوليكية تعتمد على التدين الصارم الموجود بالفعل فى كلمات القديس بولس، كما تعمل أيضًا على زيادة عدد الأرواح فى العالم، طالما أن كلَّ روحٍ قادرةٌ على الخلاص، وبالتالى أكدت الكاثوليكية المسيحية على قداسة الزواج من حيث كونه لا يقبل الانفصال أو الطلاق، حتى وإن أصيب أحدُ الزوجين بمرض الجنون أو أصبح أحدهما سكيرًا ومداومًا لشرب المسكرات، فإن العلاقة الزوجية على الرغم من ذلك لابد أن تبقى قائمة[3].

(1) Ibid: p.14.

(2) B. Russell: Marriage and Morals, op. cit, p.31.

(3) Ibid: p.31.

إن هذا الموقفَ الذى اتخذته العقيدةُ الكاثوليكيةُ قد فنده رسل وقام بمهاجمته، حيث رفض أفكارهم فى عدم الطلاق، وقد أكد فيلسوفُنا على ذلك عندما قال: «قد تظنون أن كلامى ملىءٌ بالمبالغات عندما أقول أن الكنيسة ما زالت على حالها الاستبدادية، وأنا لا أعتقد أننى قد بالغت فى شىء، وسوف أذكر لكم هذه الواقعة الحقيقية، فيجب أن تتحلوا بالصبر، فهى ليست بالواقعة التى تجلب الفرح والسرور لكم، والكنائس فى حاجة ماسة لسماع هذه الوقائع وهى: هب أن فى العالم الذى نحيا فيه فتاة ناضجة تريد الزواج برجل مريض بالزهرى syphilitic man، ففى هذه الحالة ستقول الكنيسة الكاثوليكية: «إن هذا الزواج مقدس وأبدى، لهذا يجب أن تبقيا متزوجين للأبد» this is an indissoluble sacrament, you must stay together for life ولن يحق للمرأة وفق المعتقد الكاثوليكيى بأن تمنع نفسها من إنجاب الأطفال من مريض الزهرى، و إن كانت النتيجة ستؤول إلى أن الأطفال مصابه بالزهرى أيضًا. وأنا أرى أن موقفَ العقيدة الكاثوليكية هنا غاية فى الهمجية fiendish cruelty فكل إنسانٍ لم ترتبط عواطفه بالعصبية الدينية dogma سوف يرى ضرورة وقف هذا التشريع وعدم استمراريته[1].

وهنا يرى رسل «أن هناك العديدَ من الممارسات الحالية للكنيسة تتذرع بما تسميه الأخلاقية morality، فلا تزال الكنيسة هى المعارض الأكبر لكل مشروع إنسانى يحاول تخفيف المعاناة البشرية diminish suffering[2]. لذا كانت رؤية الفيلسوف محل الدراسة أن الموقف الكاثوليكى تجاه الجنس يؤدى إلى الكثير من حالات البؤس والتعاسة التى يعيشها الإنسان، ولكن كان لابد للإنسان أن يتحمل بؤسه وتعاسته، طالما أنها إرادة الله[3].

أما النظرة البروتستانتية Protestantism فقد كانت مختلفة إلى حد ما، فقد هجرت مدح العذوبية التى كانت من ضمن خصائص الكنيسة الكاثوليكية، كما تخلت عن تقديس الزواج، وسمحت بالطلاق فى بعض الظروف المعينة، وذلك على الرغم من قسوتها وصرامتها الفكرية فى إدانتها ولعنتها لخطيئة الزنا[4].

(1) B. Russell: Why I am not a Christian, op. cit, p.17.
(2) Ibid: p.17.
(3) B. Russell: Marriage and Morals, op. cit, p.31.
(4) Ibid: p.31.

وهنا أوجزت الدكتورة: أميرة حلمى مطر ما ذهب إليه رسل فى موقفه تجاه المذاهب الدينية المسيحية، ورؤيتها لأخلاقيات الجنس بقولها: «أن زيادة الاهتمام بالجنس وتسلط فكرة الحرية الجنسية فى الحضارة الحديثة، إنما كان استجابة عكسية للتعاليم المسيحية التى أحاطته بكثير من القيود والمعتقدات الخرافية القديمة»[1].

ويمكن تلخيص رأى رسل بإيجاز فى فصله بين الجنس والدين، ودعوته للحرية الجنسية، فى رؤيته التى لا يقبلها دين من الأديان، ولا تقرها أية أخلاق إنسانية، و إنما كانت عند الباحث مجرد اقتراح، ولا يزيد عن كونه «اقتراح» فى قوله: «أن حياة معظم طلبة الجامعة ستكون أفضل من الناحية الفكرية والأخلاقية، إذا عقدوا زيجات مؤقتة دون إنجاب أطفال». بل كتب يقول «أن هذا سوف يقدم مخرجًا للدافع الجنسى، دون ممارسة الجنس فى قلق أو فى الخفاء، وهى ممارسة لن تكون مرتزقة أو عارضة، كما أنها من نوع ليس من شأنه أن يضيع وقت الطلبة الذى ينبغى تكريسه للعمل، وأنه حتى الآن لم تنظر أية سلطات جامعية إلى هذا الاقتراح بعين العطف»[2].

ومما يعجب له المرء وتقشعر منه النفس الإنسانية ما جاء على لسان «جريلينج» عندما كتب عن رسل يقول «وفى عام 1920م قام رسل وزوجته «دورا» بإنشاء مدرسة فى الريف على مساحة 200فدان، ولكن سرعان ما ثبت فشل هذه المدرسة فى تغطية مصاريف الحياة المعيشة وكذلك الأعباء الأسرية، وبعد أن فشلت هذه المدرسة التى أسسها رسل وزوجته، وكذلك موت أخيه زادت الديون والأعباء عليه، مما دفع زوجته «دورا» إلى إقامة علاقات غير شرعية مع رجال آخرين، وهنا لم يكن رسل يمانع ذلك أو يرفضه طالما أن نتاج هذه العلاقات لا ينسب إليه كرجل»[3].

رابعا: الجنس ومشكلة الحب

إلى أىٍّ حد يمكن القول بوجود علاقةً وطيدةً بين الحب والجنس؟ وهل يمكن اعتبار الحب سببًا من أسباب الزواج أو الجنس؟ وما الكيفية التى ظهر بها الحب فى فلسفة برتراند رسل

(1) أميرة حلمى مطر: مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، مرجع سابق، ص 43.
(2) آلان وود: برتراند رسل - سيرة حياة، مرجع سابق، ص 223.
(3) A.C. Grayling: Russell, A Very Short Introduction, Op. cit, pp.21,22.